الفصل الأول

أمل دنقل شاعر الرفض والمقاومة

١- ميلاده- نشأته- عمله- دواوينه.
٢- ينابيعه الثقافية وجذوره الإبداعية.
٣- أمل دنقل بين الذات والآخر.

أمل دنقل شاعر الرفض والمقاومة

١- ميلاده ـ نشأته ـ عمله ـ دواوينه:

ولد "محمد أمل فهيم أبو القاسم دنقل" والذى اشتهر بعد ذلك بإسم: أمل دنقل من عام أربعون وتسعمائه وألف بقرية قلعة ـ مركز قفط ـ محافظة قنا جنوب مصر. كان والده عالما من علماء الأزهر وكان الوحيد فى العائلة ، بل فى القرية كلها الذى حصل على إجازة العالمية من الأزهر عام ١٩٤٠م ، وهو نفس العام الذى ولد فيه أمل وسمى أمل بهذا الاسم تيمنا لنجاح أبيه ، ونشأ أمل طفلا انطوائيا خجولا نتيجة للسلطة الأبوية الصارمة[١٩] ، إلا أنه فقد والده فى سن العاشرة ومن هنا بدأت رحلة معاناته ، "أننى رجل بدأت رحلة معاناتى من سن العاشرة وفى السابعة عشر اغتربت عن كل ما يمنح الطمأنينة حتى الآن...."[٢٠].

التحق بمدرسة قنا الثانوية (١٩٥٥ - ١٩٥٦م) ، ثم التحق فيما بعد بكلية الآداب ، ثم فصل فيها بعد عامه الثانى[٢١]. غادر قريته إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة ، وعاش حياة البسطاء ، وظل عنوانه **"مقهى ريش - ميدان سليمان باشا"** لا يحمل أوراقا ، ولا يحلم بغير الشعر ، ولا يمتلك بيتا حتى بعد زواجه فى عام ١٩٧٨م ، وظل ينتقل بين الفنادق والحجرات المفروشة حتى استقر على سرير، الأبيض فى معهد السرطان[٢٢] ، والغرفة رقم (٨) آخر الغرف التى قاوم فيها أمل مرضه قرابة عام ونصف فى الدور السابع من المعهد القومى للأورام من فبراير ١٩٨٢م إلى يوم رحيله الساعة الثامنة من صباح السبت الحادى والعشرين من مايو ١٩٨٣م[٢٣]، كان أمل نبيلا فى حزنه ، صادقا فى حبه وصاحبا لصاحبه ، وآخر كلماته التى لفظ بها وهو على سرير، فى معهد السلطان قالها لـ "أحمد

إسماعيل" "**ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا...**"[٢٤]. لم يتقلد أمل دنقل عملا وظيفيا على المستوى الفعلى ، فقد كان اسمه مدرجا بين أسماء العاملين بمنظمة التضامن الآسيوية ، والتى لم يذهب إليها إلا لتقاضى مرتبه الذى لم يتجاوز الأربعين جنيها حتى مات ، فكان يقول ساخرا أننى لا أفهم كيف أكون شاعرا وشيئا آخر.[٢٥]، وكان يعمل فى الستينيات موظفا فى جمرك الإسكندرية[٢٦]. وإذا كان الإنجاز الضخم للشاعر المعاصر فى وعيه لزمانه ومكانه ، والتفاته إلى مجتمعه ، ولما يجيش به المجتمع من الحركة والتشكل المستمر للقيم وأنماط الحياة...[٢٧] ، **فإن أمل دنقل حقق في قصائده** حل المعادلة الصعبة والتى تتبلور فى تقديم أدب تحريضى يتبنى القضايا القومية والوطنية دون التفريط فى الآليات الفنية التى تجعل من الشعر إبداعا حقيقيا يتضمن كل عناصر الفن الجميل ، والذى بدأ ظهوره على الساحة الثقافية منذ أوائل الستينيات وبدأ "**بقصائد عمودية**" ، ذات مذاق خاص ، ثم تحول إلى القصيدة التفعيلية مفجرا طاقات الإبداع فى هذا الشكل الجديد[٢٨].

وقد بدأ قصائده الأولى في الإسكندرية فى مرحلة ما يسمى بسنوات الإسكندرية وهى سنوات الستينيات الأولى ، ومن هذه القصائد "**عندما نقول لا**" "**بطاقة كانت هنا**" ، وظهرت هذه القصائد فى فترة لاحقة فى ديوان "البكاء بين **يدى زرقاء اليمامة**" ، "**وتعليق على ما حدث**" ، وبعض قصائد تضمنها ديوان "**مقتل القمر**" الذى أهداه الشاعر إلى "**الإسكندرية سنوات الصبا**" ، وقصيدة "**حكاية المدينة الفضية**" ، التى يتضمنها ديوان "**تعليق على ما حدث**" ، وهو الديوان الثالث

فى الأعمال الكاملة نشرت أول ما نشرت فى مجلة المجلة المصرية فى عدد أكتوبر ١٩٦١م[٢٩] ، وفى قصائد أمل دنقل نلمس نغمة الحزن عميقة ، قد تصل فى بعض الأحيان إلى الإنهزامية وخاصة فى قصيدة "**البكاء بين يدى زرقاء اليمامة**" والذى عبر فيه عن مشاعر المرارة والتردد والهزيمة فى ١٩٦٧م ، إلا أنه يقوم ويقاوم ويصمد ويلملم جراحه فى ظل إرادة إنسانية وتحدى للواقع دون استسلام أو خنوع فكان حزنه إيجابيا يعطى نتيجة نهائية وهى التفاؤل كما فى قصيدة "**كلمات سبارتاكوس الأخيرة**".

وفي الإسكندرية أيضا تكونت لدى أمل دنقل مفردات خطابه الأثيره: السدى والصدى ، الحزن ، البكاء ، الموت ، الكفن ، الدم ، والتى أصبحت محاور لأفكاره وموضوعاته بل أصبحت الذخيرة التى اقتحم بها عالم النصف الثانى الستينيات التى جسدت فيها نكسة ١٩٦٧م ذروة الفشل الطوباوى[٣٠].

كتب أمل دنقل ستة دواوين ومجموعة من القصائد المتفرقة هذه الدواوين ترتيبها الزمنى كالتالى:

- "البكاء بين يدى زرقاء اليمامة" (١٩٦٩م).
- "مقتل القمر" (١٩٧٤م).
- "أقوال جديدة عن حرب البسوس"

ومجموعة من القصائد المتفرقة وهى:

- "إلى صديقة دمشقية" (١٩٦٦م)
- "العراف الأعمى" (١٩٧٤م)
- "تعليق على ما حدث" (١٩٧١م)
- "العهد الآتى" (١٩٧٢ - ١٩٧٥م)
- "أوراق الغرفة (٨)" (١٩٧٩ - ١٩٨٣م).
- (١٩٧٦- ١٩٧٧م).
- "عشاء"، "البطاقة السوداء"، "لا أبكيه" (١٩٧٣م).
- "نجمة السراب"، "أيدوم النهر" (١٩٨٠م)

وصدرت هذه الدواوين في الأعمال الكاملة عن مكتبة مدبولى بالقاهرة الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، والتى اعتمدت الباحثة عليها فى التحليل مرتبة حسب الموضوع "**فمقتل القمر**" يغلب عليه العاطفة والحب، أما باقى الدواوين فتحمل صبغة سياسية غالبة.

١- مقتل القمر.
٢-البكاء بين يدى زرقاء اليمامة.
٣- تعليق على ما حدث.
٤-العهد الآتى.
٥- أقوال جديدة عن حرب البسوس
٦-أوراق الغرفة (٨).

ثم مجموعة القصائد المتفرقة.

وقد فتحت الإسكندرية للشاعر أمل دنقل بابا لمجتمع الشعر الرسمى حينما فاز فى عام ١٩٦٣م بجائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب عن قصيدة "**طفلتها**" ، والإسكندرية وحدها هى التى ألهمت أمل قصائد الحب ، حتى وأن كانت في شكل رسائل من الشمال(٣١).

هذا ولم يكتب أمل دنقل دراسات تفصيلية ولا أبحاثا منهجية فى أى من القضايا الشعرية ، لكن كان له حوارات وآراء ، وندوات ، ومقابلات فالحوارات وهى الشكل الرئيسى لأقوال أمل صيغة فكرية يتبدى فيها الآخر محاورا ومتداخلا ومتسائلا ، مثلما تتبدى فيها ذاتية الشاعر نفسه ، أن أراء أمل دنقل وتصوراته ليست هى فى ذاتها ما يستدعى التأمل وإنما هى تستمد فعاليتها وضرورتها من شخص قائلها ذاته ، فأمل دنقل لم يهتم كثيرا بالإفصاح عن رؤيته للعالم والتاريخ ، فالذات قد تبدو خارج نصه الإبداعى ، ربما لأنه لم يجد نفسه مطالبا بالتبرير(٣٢) ، هذا ونجد أن الغالب على شعر أمل دنقل أنه شعر سياسى يستلهم فيه التراث بشكل كبير كأقنعة للإسقاطات السياسية الغزيرة والرافض فيها للواقع والناقد الساخر للسلطة ، والحكيم الحاد اللهجة المحب بصدق والحزين بعمق والصادق الإحساس والذى يعيش الشعر أكثر مما يبدعه.

٢- ينابيعه الثقافية وجذوره الإبداعية:

تعددت الينابيع الثقافية لأمل دنقل منها ما فرض عليه لتوافر الظروف المواتية ومنها اختيار ذاتى له ، فتعددت قراءاته وتكوينه الثقافى بين الكتب الدينية والتى فرضت عليه لتوافرها فى مكتبة والده عالم الأزهر والشاعر ، كذلك اللغة العربية ، وكتب التراث والأساطير والسير والشخصيات التاريخية ، والتى كان يستخدمها كأقنعة شعرية لاسقاطاته السياسية وغيرها ، وكذا قرأ فى الفكر الماركسى والوجودى.

"كانت مكتبة والده الدينية أول مصادر ثقافته ، بما احتوته من كتب في الشريعة والفقه والتفسير ، وما ضمته من كتب التراث والشعر القديم ، وهو في سن الخامسة عشر قرأ كتبا عديدة من كتب التراث والملاحم والسير الشعبية وقرأها أكثر من مرة بعد ذلك..."(٣٣) ، والقراءة بالنسبه للشاعر أمل دنقل بحثا واكتشافا فهى ليست مجرد تراكم للمعلومات ، ومع القراءة العمل الإبداعى الكاشف يظل الحضور المبهر للذاكرة حيث يتمتع بذاكرة عظيمة ، تستطيع استحضار كافة التفصيلات واستعادتها فى نضارتها الأولى ، أنها الذاكرة ، تلك الهبة الطبيعية التى شكلت إحدى مفردات الموهبة ، ففى صباه الباكر حفظ ألف بيت من الشعر القديم من أجل أن يكون شاعرا ، كما قاله له مدرس اللغة العربية فى المدرسة(٣٤).

وهنا تتجلى الروح الإبداعية للشاعر في توظيفه للقراءة باعتبارها بحثا واكتشافا ، وتوظيفه واستثماره للذاكرة القوية ، فيما بعد فى شكل إبداعات شعرية.

"فالإبداع عملية تظهر عبر الأنشطة الإنسانية الفنية والعلمية والفكرية والاجتماعية لأن الشكل الأساسى لعلاقة الإنسان الفعالة بالعالم الخارجى هو النشاط ، والشكل الأساسى للنشاط هو العمل فى مجالاته المتعددة فى عمل العامل والفنان ، العالم ، السياسى ، المفكر ....الخ ، وفى هذه المجالات من النشاط يظهر الإبداع ويتجلى"(٣٥) .

"وفى أواخر الخمسينيات بدأ أمل الاهتمام بقراءة الكتب الماركسية والوجودية ، فقرأ ماركس ، انجلز ، واهتم بشكل خاص بقراءة كتب "**لينين**" ، ثم بدأ تكثيف قراءاته لفلاسفة الوجودية (**كيركجارد** ، **هيدجر**) ، وبشكل خاص كتب (**سارتر وكامو**) (**الوجود والعدم** ، **اسطورة سيزيف** ، **الإنسان المتمرد**) ، لكنه فيما بعد ركز كل اهتماماته فى كتب التاريخ والسياسة ، الاقتصاد واللغة ، الكتب الدينية ، والتراث ، الأساطير والإبداع الأدبى بالطبع ، ويظل برأى عبله الرويني أن القرآن الكريم والكتاب المقدس (**العهد القديم والعهد الجديد**) هم أهم ثلاثة كتب فى ثقافته ، تلقى الكثير من الضوء على إبداعه ولغته(٣٦) ، إلا أنه تأثر بالفعل بكتابات سارتر وغيرها مما سبق الحديث عنه ، وهذا يتضح من مفرداته الخاصة فى شعره، **مثل**: السدى ، العدم ، الصدى ....الخ.

٣- أمل دنقل بين الذات والآخر:

شاعرنا شخصية حادة صلبة مقاومة لكل ألوان الظلم والزيف والقهر والفقر أنه اللون الأبيض الناصع والأسود القاتم لا وسط بينهما ، فهما لونا حياته واتلف كل ما عداهما من الألوان ، وهذا ما لا يروق للبعض ، أنه صوت الحق والحقيقة والشفافية ورفض الزيف ، أنه الباحث عن الحرية والاطمئنان

طيلة حياته ، أنه الصراحة الواضحة التى لا يحتملها البعض ، أنه شاعر مبدع لأنه استطاع أن يعرى الواقع وينفعل بقضايا عصره بحرية وشجاعة ومثابرة وتوظيفه الجيد للتراث والأساطير ...الخ ، فى كشف الظلم والاستبداد سواء على مستوى السلطة السياسية أو الحياة عموما ، يتنبأ بالمستقبل والعهد الآتى فهو شاعر مسئول ومثقف ودقيق ...الخ ، وتلك قيم ثقافة الإبداع .

ورغم مرارة الواقع والقضايا التى وقف عندها شعريا ورغم مرارة الأيام وصعوبة حياته وفقره ، إلا إننا نحس من بعيد بشعاع نور ولحظة أمل وتفاؤل يبعث فى النفس الطمأنينة ويقوى العزيمة من جديد.

قيل عنه الكثير ما له وما عليه في ذاته وفي شعره وانتمائه الفكرى وعلاقاته مع الآخرين...الخ. لا يحب أمل منطقة الوسط ، ولا ينتمى للمناطق الرمادية بمقط الحلول الوسط ، ويحتقر الانفعالات الوسط ، ويتحدى الطبقات الوسطى يكره إلى درجة النسيان وإلغاء الشخص تماما إلى درجة قسوة القلب وعدم المغفرة "**فما الصلح إلا معاهدة بين ندين في شرف القلب لا تنتقص**" يحب أو يكره يبارك أو يلعن ، هارب دائما من كل مناطق الحياد التى تقتله ، استعراضى يهوى الملابس الغريبة ، يذهب إلى مواعيده متأخرا ، يقتحم الآخرين ولا يسمح لأحد باقتحامه والتفتيش بداخله ، انفعالى حاد ، وهو فى ذات الوقت عقلانى يحسب دائما ردود أفعاله تجاه الأشياء ، ويستدل بالمنطق ويحيل هذا المزاج الشعورى المتطرف إلى بناء عقلانى متماسك متضافر دون خطوط رجعة(٣٧).

"**كانت تلك الجرانيتية الحادة تضيئه وضوحا في نفس اللحظة التى يخبئ كتمانه الكثير في داخله ، ويحول كل الصلابة والحده ، والتطرف إلى أقنعة يتوارى خلفها قلبه النبيل الذى أرهقته مرارة الأيام**"(٣٨). وكان لأمل دنقل جماهيرية

عريضة راجعة للقدرة الذاتية لشعره ، والذى تميز بثلاث خصائص رئيسة كونت لديه هذه الجماهيرية .

أولها: إتكاء دنقل على التراث القديم لا سيما العربى الإسلامى .....

ثانيها: اتصال دنقل بهموم وطنه ومواطنيه الماسة المباشرة وتعبيره الصادق عن أشواق شعبه فى الحرية ، ثالث: هذه الخصائص توفيق الشاعر فى عمل نسيج بين الموقف السياسى والاجتماعى الناصع والتشكيل الفنى الجمالى القيم(٣٩).

فقد كان أمل دنقل شاعرا عظيما وأصيلا حيث جمع بين هاتين الركيزتين فى شعره الركيزة الأولى الاحترافية فى شكل القصيدة وهندستها وبنائها والاختيار الدقيق والمحسوب للألفاظ والصور والتشبيهات والاستعارات الخارجة على المألوف والتي قد تعبر عن تناقضات ظاهرية لكنها تنطوى على حقائق هذا بالإضافة إلى اختيار أطر تراثية تاريخية دينية قديمة يصوغها فى براعة والركيزة الثانية وتتعلق بالمضمون فقد استطاع أن يخضع أدواته الشعرية في خدمة القضايا الحيوية والجوهرية لأمته كقضايا الحرب والسلام والحرية والكرامة ...الخ ، حيث تعكس قصائد أمل تأملات فلسفية فى وجود أمته ومستقبلها وتطلعاتها وشعارتها(٤٠).

وعلى صعيد آخر من حيث انتمائه الفكرى والاتهامات التى وجهت إليه فى هذا الصدد أنه شاعر يسارى اتهم بأنه سليط اللسان ، شديد القبح مثل كل الشيوعيين مما جعل اسمه مدرجا فى قوائم الشخصيات الممنوع ذكرها في الصحف . فقد قام المشرف العام على الصفحات الأدبية بجريدة الأخبار

(عبدالفتاح البارودى) بشطب اسم أمل من داخل خبر أو حتى داخل استطلاع لآراء الكتاب والأدباء مرددا أن أسماء الشيوعيين لاحق لها فى النشر بالجريدة... بل راح مرات عديدة يتهم أمل بكسر عمود الشعر، والإساءة للغة بما يكتبه من شعر حديث[٤١].

وفي حوار لأمل دنقل مع عبله الرويني الصحافية في جريدة الأخبار والتى أصبحت زوجته فيما بعد كان هذا الحوار ١٩٧٥/١٢/١١م سألته عن أن كل معارض مرفوض، فكيف تعيش فى جو من الرفض؟

قال: أنا أعتبر أن الشعر يجب أن يكون فى موقف المعارضة، حتى لو تحققت القيم التى يحلم بها الشاعر، لأن الشعر هو حلم بمستقبل أجمل، والواقع لا يكون جميلا إلا فى عيون السذج![٤٢].

وراح الكثيرون يرددون أن أمل هو الشاعر الوحيد الذى لم يعايش تجربة السجن وراح آخرون أكثر كراهية للشاعر يكشفون فى نفوسهم باتهامه بالعمالة للمباحث فى سنوات الستينيات حيث كثر إتهام المثقفين لبعضهم البعض فى تلك السنوات بالعمالة والشذوذ، ودائما أمل كان يسير ولا يلتفت لأحد كعادته، كما أتهم بما يسمى بالمباشرة فى الشعر، وأن موقفه السياسى ورؤاه الفكرية تطغى على موقفه الجمالى، إلا أنه كان يرى أن الشعر يأخذ ماهيته الأساسية من صلته بالجمهور، ولأن له دورا اجتماعيا وسياسيا ينبغى أن يكون ملموسا وملحوظا لا أن يكون ملغزا أو متعاليا على الجمهور[٤٣].

وفي حفل أقامه حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى لتأبين المرحوم الشاعر أمل دنقل القى الدكتور يوسف أدريس كلمة نصها "أيها السادة ... فأعذرنى يا أمل لأنى لم أمتلك شجاعتك للاستشهاد فى سبيل رؤياك، وحتى

لو قلت معتذرا لأنى أنا الآخر أريد أن أموت شهيد رؤيتى ، فالعذر أقبح من الذنب أيها السادة: نحن فى حضرة عبقرية انتهت حياتها منذ أيام وإلى ألف عام من الآن ، إلى مسافة تماما مثل التى كانت بين المتنبى ودنقل ، ستظل ننتظرها ولن أطلب منكم الوقوف حدادا ، فنحن إذا وقفنا حدادا سيكون الحداد على عصر طويل قادم ، حداد على العصر الذى سيمضى حتى يشب فيه رجال لهم شيم الرجال الذين كان يراهم أمل دنقل"(٤٤) ، أنه ليس مجرد شاعر وإنما حالة كاملة جاءت بغبارها ونزقها واعتدادها من قنا ، ليصبح الوجه الأشهر فى مقهى ريش الثقافى فى فترته السبعينية المزدهرة ، نظلم أمل دنقل أن وصفناه بشاعر مهم أو حتى الشاعر الأهم لأنه كان يعيش الشعر أكثر مما يبدعه ، كان فعلا حالة متميزة وفذة ، فتحية إلى أمل العابر فى ليل(٤٥).

وما زال إبداعه الشعرى والتحامة مع قضايا عصره ، وتعبيره عنها بشجاعة ومثابرة واضحا كالنهار وحيا بيننا وشاهد على عصره وعلى ابداع شاعرنا.

الفصل الثانى

القضايا الرئيسة فى عصره (١٩٤٠-١٩٨٣م)